مناقشات قومية

معنى التحرر العربي

بقلم ناجي علوش

لكل ثورة منطلق ...

ولكل منطلق سمات ومميزات تكتسب منها الثورة طابعها وملامحها

وكل منطلق ، هو المجال الثوري للعقيدة، والاساس الفكري للثورة ، الاساس الذي يعطيها معناها وحدودها ، ويحتم عليها سلوك سبيل معين يحدده الوعي العقائدي لهذا المنطلق ولعناصره التاريخية والاجتماعية والاقتصادية .

واذن فحتمية التطور النابعة من سنة الحياة تتلاقى مع طوعية الاتجاه النابعة من نوع الوعي الموضوعي الذي يحدده .

وهذا ما يجبرنا دائما وابدا على اعادة النظر في الاسس التي تقوم عليها الثورة وتوكيد النتائج التي وصل اليها الوعي العقائدي لايضاح علاقة كل خطوة بالثورة ومكانتها منها ، ولاثراء الثورة بالكشف الواعي المستمر على تجاربها وابعاد الشوائب والاخلاط عن التيار الصاعد حتى لا يحصل على الالتباس وتحل النكسة .

لذلك كله اود ان اطرح على نفسي ثلاثة اسئلة :

الاول : ما هو منطلق الثورة العربية ؟

الثاني : ما هي المميزات والسمات التي تكتسب منها طابعها وملامحها ؟

الثالث : كيف يصبح المنطلق مجالا ثوريا ، واساسا فكريا في مستوى الرسالة ؟

ولسنا نظن ان هنالك اختلافا على ان الانسان العربي الذي نراه اليوم مناضلا وحائرا وممزقا ، هو منطلق الثورة ، وان ارادته في الحياة الحرة الكريمة هي التي تعطي التطور معناه وضرورته .

كما انني لا اعتقد ان هنالك اختلافا على ان الوعي الموضوعي لعناصر واقعه التاريخي والاجتماعي والاقتصادي هو الذي يحدد اتجاه الثورة وعمقها وأصالتها ..

ولما كنا نعرف من الدراسة التاريخية البسيطة ان الانسان العربي معروف بأنه قدر ثوري لمقدرته على التكيف السريع والابداع ، ونعرف ان الواقع الحاضر هو تراث قرون من الظلمة والحرمان والبؤس ، ناتج عن ازمة الفرد العربي بالذات ، فان علينا ان لا ننسى العلاقة الموضوعية بين هذه الازمة والواقع ...

ولذلك فان على الثورة ان تستمد خطوطها من الحقائق الاتية :

أ ـ الانسان العربي بما عرف عنه من حيوية وابداع وقدرة على التكيف السريع ، ومن تعلق فائق بالقيم والمثل وشعور بالغ بحقه في ان يكون كريما .

ب ـ الواقع العربي التاريخي الذي يحدد علاقة الفرد العربي بنفسه وبالاخرين وبالانسانية وبما نستطيع ان نجده في ذلك من امكانية للتفاعل تبلغ الذروة .

ج ـ الواقع العربي بما هو عليه الان متمثلا بأزمة الفرد العربي المتفاعلة دائما وابدا مع التخلف الاجتماعي والسياسي والاقتصادي .. هذه الازمة التي كان من نتيجتها وجود الاستعمار والتجزئة والفوضى الاجتماعية والعبودية ... وضياع عربستان واسكندرونه وفلسطين ...

د ـ ما احرزه العلم من التقدم في مجالات علم النفس والاجتماع والعلم التطبيقي ، وما يمكن ان يؤدي اليه هذا من ازدهار وتفتح اذا استغل استغلالا مفيدا .

هذا هو المجال العقائدي للثورة .

اما الاسس الثورية للعقيدة ، فانها ليست الا الفهم الواعي المسلح بالفكر الانقلابي ، والذي يعني العملية والعلمية والوضوح والثورية والشمول .. لهذه الاشياء وللعلاقات القائمة بينها ...

وهي على هذا الاساس ـ وفي رأيي ـ لا يمكن الا ان تبدأ من الفرد العربي باعتباره الوحدة التي تمثل ما تحدثنا عنه اولا ، ولانه الخلية التي يعتمد على تفتحها وازدهارها .. وتفتح الحياة العربية وازدهارها ..

ونتيجة لذلك نستطيع ان نقرر :

أ ـ ان انقلاب الفرد العربي على نفسه ، هو القدر الذي يحقق الثورة.

ب ـ ان القضية العربية (على اختلاف وجوهها) واحدة لانها قضية امة واحدة من جهة ، ولانها تفاعل مستمر بين الواقع ـ الواقع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ـ والفرد العربي يزيد من تعقد الازمة .

ج ـ ان الانقلاب مرتبط بالحلول الجذرية التي تعالج اسباب الازمة الذاتية والموضوعية .

وهذا يدفعنا الى الاعتقاد الجازم بان الانقلاب لا يمكن ان تحققه الا طليعة منظمة واعية ، وان الوعي والتنظيم والثورية هي عناصر العقيدة ، وان على هذه العقيدة ان تضع تجسيمها العملي ـ اي مبادئها وشعاراتها ـ المعبر عن الصورة الحية بتجربة النضال العربي ، وهذا بمعنى من المعاني هو معنى التحرر ...

فالتحرر اذن وكما نرى عملية انقلابية تبدأ بالفرد ، بانقلابه على نفسه ، وانقلابه على نفسه يعني مواجهته الثورية للواقع اولا المواجهة التي تتحقق كليا وبصراحة فائقة ، وهذه المواجهة التي تعني تجاوز لانسانية هذا الواقع لا يمكن الا ان تعني في الوقت نفسه التصور الكلي والثوري لقضية الشعب ، قضية حريته وحياته .

فالانقلاب هو بمعنى من المعاني العقيدة، والعقيدة هي النظرة الشاملة الواعية لمشكلة الوجود ، والنظرة الشاملة لمشكلة الوجود لا يمكن ان تجرع للشعب على مراحل (١)

١) ـ اسطورة التحرر السياسي :

ومن هنا كانت الدعوة للتحرر السياسي خطيرة ، وجديرة بالبحث والاهتمام ، لا لانها محاولة لتبسيط القضية العربية فحسب ، ولا لانها محاولة هامشية ان كانت تستطيع ان تغير بعض جوانب المجتمع فانها لا تستطيع باية حال من الاحوال ان تغير الاسس التي يسير عليها ، لا لكل

١) يجعل بعض دعاة القومية «المرحلية» منطلقا للثورة ...

ذلك فحسب ، بل لان التحرر السياسي يعني الثورة المعاكسة ، يعني بوضوح التآمر على الثورة ...

« فالتحرر السياسي على الرغم من انه كان نهاية النضال بالنسبة لكثير من الامم في القرن التاسع عشر والقرن العشرين ـ وهذا ما يتخذه الاستاذ بدور دليلا على صحة رأيه (٢) ـ لا يعني الا محاولة عرقلة الثورة العربية والحد من عنفوانها وتمزيق ثوريتها »

« وعندما تجهض الثورة يكون التحرر السياسي »...

وهذا يعني النزول بالمعركة من المستوى الايديولوجي الى مستوى الشعارات المرحلية و.. الاصلاح .

قال ماركس : « ان الثورة السياسية انما هي ثورة المجتمع البرجوازي» (٤٦) (المسالة اليهودية) . وهذه الثورة كما قال ايضا : « تفكك الحياة البرجوازية الى عناصرها دون ان تحدث الثورة في هذه العناصر نفسها وتخضعها للنقد » (٤٩) وهي التي تعني (اكتمال مادية المجتمع البرجوازي باكتمال مثالية الدولة) (٤٨) وبالتالي (تحويل الانسان من جهة الى عضو من اعضاء المجتمع البرجوازي ، الى فرد اناني مستقل ومن جهة اخرى ، الى مواطن ، الى شخص معنوي) (٥٠) خاضع للانطواء على ذاته والعمل لمصلحته .. ولمصلحته فقط .

وهذه الثورة بينما تعمل على وحدة الاطار الخارجي للدولة تعمل في الوقت نفسه على زيادة التجزئة في الداخل لان العلاقة التي تقوم عليها ليست الا التطور الطبيعي لايديولوجية التمزق والضياع، تلك التي تحمي انفصال الانسان عن الانسان واستقلال الانسان للانسان بواسطة القانون(٣)

ومن هنا كان النزول بالمعركة من مستوى العقيدة الى مستوى الشعارات المرحلية ليس مهادنة للايديولوجية القديمة فحسب .. ولا هو محاولة للمحافظة عليها فقط .. انما هو بمثابة تعهدها ورعايتها لتنمو وتشتد وتمتد ..

فالتحرر ـ الشعار الذي وضع مقابل الحرية ـ عدا انه يعني من الناحية الفلسفية ما ذكرنا من السماح لايديولوجية التمزق والضياع بالنمو والامتداد والاشتداد ، يعني ايضا ـ وهذا ما يلمح به انصاره ـ دكتاتورية الفئة او الشخص الذي ترضى عنه الفئة ، الدكتاتورية التي تمهد لقيام المجتمع المنشود ، المجتمع الامثل ؟!..

واي مجتمع امثل ...؟

اي مجتمع امثل ذاك الذي ستبنيه حراب الدكتاتورية ..؟

أرجو الا يستغرب شيء ، فهذه هي نتيجة التكهن الهجين النابع من تخبط بعض المثقفين في دوامة الازمة الذاتية الصاعقة واستعداد بعض البرجوازيين لتحقيق التفتح الملائم لامتداد جذور ايديولوجيتهم ، هذا التخبط الذي يتنافى مع التصور الكلي والثوري لقضية الشعب ،قضية حريته وحياته ..

ولسنا بحاجة للقول ان الدكتاتورية ليست الا الوسيلة التي تفرض بها فئة على فئة ، هذه النازية والفاشية في المانيا وايطاليا واسبانيا ..

وبجانب هذا يجب الا ننسى ان البرجوازية الناشئة في الوطن العربي تواجه الاستعمار وبقايا الاقطاعية من جهة ، والوعي الثوري الاشتراكي من جهة ثانية ، وهي لذلك بحاجة لدكتاتورية تقضي على الوعي الثوري والاستعمار والاقطاعية وهذه بعض وظيفة النازية والفاشية .

---

٢) العروبة والمذاهب المعاصرة ـ الاداب عدد ٦ سنة ١٩٥٧

٣) مبدأ الحرية الفردية القائل بعمل ما لا يضر بالاخرين والذي ينتج عنه كل ما يضر بالاخرين .. والنظام الرأسمالي مثل ذلك.

يفسر ذلك كله تغني هواة شعار التحرر ببسمارك واشتراكيته (٤) واعتبارهم التحرر غير الحرية ، وقولهم ان الحرية تعني الدعوة للانحلال وبالتالي فلا بد من العصا السحرية ، من الدكتاتورية ..

لا يسعنا هنا الا ان نقهقه ، الا ان نضرب الارض بأرجلنا ونصرخ فرحا : لقد عرف بعض الموهوبين طريق الخلاص !.. انها الدكتاتورية ، ولن ابالغ فاقول دكتاتورية المرحلة او الدكتاتورية المبرمجة .. كما يقول علي بدور (الآداب ـ عدد ايلول سنة ١٩٥٧) اي الهروب من المعركة الحقيقية .

انهم يريدون ان نتجاهل عناصر التطور الايجابية، ويدعوننا الى ذلك باسم الشعب والوحدة القومية وسياسة المراحل ، لتتحكم في النهاية فئة من المواطنين في رقاب الاكثرية .. .

ولكننا لا يمكن ان ننسى ان الامتداد الطبيعي للدكتاتورية التي من هذا النوع ليس الاشتراكية وانما هو ذروة الرأسمالية ، لانها دكتاتورية البرجوازيين والمرضى من المثقفين .. التي لا يمكن الا ان تعيد التجزيئية من جديد بشكل احد واكثر تعقيدا (٥)

وهذا هو التآمر على الثورة ..

انه ليس الا وضع حدود تعسفية لثوريتها وتجاهلا للعناصر الخلاقة فيها ، بجعلها لا تتعدى شعارات لا تحمل غير الدعوة للتغيير وحسب ... هذه الدعوة التي هي التعبير العملي عن الامتداد الطبيعي لايديولوجية التمزق والضياع .

فهم يريدون عملا سريعا يحقق الوحدة ، أي نوع من الوحدة ، ويحقق نوعا من الحرية يسمونه التحرر ـ اي اجلاء جيوش الاستعمار واقامة دولة عربية وطنية ـ ويعتبرون هذا مع القضاء على اسرائيل الخطوة التي تحقق الاطار الخارجي للمجتمع العربي .. اي الخلية التي تتوالد فيها البرجوازية ...

ولما كانوا لا يستطيعون بناء هذه القوقعة الا بالاستعانة بالشعب ، فقد حملوا شعاراته مجددا ، بعد ان مزقوها ، فهم اشتراكيون (والنضال السياسي ليس هدفا بحد ذاته الا بمقدار ما يضع الامة العربية في وسط تجربة نضالية تصل من خلالها الى وعي معنى المرحلة الثانية الذي فيه وحده يمكن بناء المضمون الاشتراكي ـ الديموقراطي الاجتماعي (٦) (١٧١) كما ان (الاشتراكية العربية انما تنبع من صميم بديهيات ومستلزمات الوجود القومي العربي وهي نتيجة طبيعية للفهم الواعي الاصيل لمستلزمات هذا الوجود والنظرة الاصيلة المخلصة للحياة القومية والانسانية فهي تمثل موجة متقدمة من وعي الشعب المتزايد لشخصيته القومية ووعيه لاسس وبديهيات وجوده القومي ووحدته القومية) (١٧٥) .

ثم يقول :

« وهنا ايضا نرى المشكلة السياسية تستند الى الفساد الاقتصادي والاجتماعي كما تعمل على تدعيمه » (١٦٤) .

ويقول :

---

٤) من محاضرة للدكتور جورج طعمه اسمها (في المفهوم القومي) القيت في النادي العربي ببيروت .

٥) التجزئة في الوطن العربي ليست اقليمية ـ انما هي ظاهرة تشمل القيم والمثل والاخلاق وتطبع كل مؤسسات هذا الواقع ... الذي ندعو للانقلاب عليه .. وكل انسجته الاجتماعية .

٦) مع القومية العربية ـ اصدار اتحاد بعثات الكويت ـ وتأليف « القوميين العرب » دعاة المرحلية والتحرر السياسي .

« كانت التجزئة تثبت الاســـتعمار والاستعمار يثبت التجزئة والاثنان يثبتان فســاد المجتمع العربي .. (١٠٥)

ولكنهم هم .. الذين يؤمنون بأن (الواقع وحدة حياتية مترابطة)(١٥٨) ويقولون « منذ ان يبتدىء النضال العقائدي السياسي يكون قد ابتدأ النضال الاجتماعي الاقتصادي لانه سيناضل: ضد كل من يقف في سبيل الوحدة والتحرر والثأر وهؤلاء كثيرون ، منهم الاستعمار واليهود ومنهم الفئات النفعية والمصلحية التي تعيش على التجزئة » . (١٦٩)

وهم الذين يعتقدون « ان النضال القومي العربي هو العقيدة القومية العربية في حيز النشاط التطبيقي .. ولا يمكن فصل العقيدة عن النضال لانهذا الفصل سيوصلنا حتما اما الى ازدواجية فيالنضال واما الى نفاق في العقيدة كما لا يمكن فصل العقيدة والنضال عن الاداة النضاليــة . فالثورة التي تهدف العقيدة الى احدائها في المجتمع لا بــد وان تكــون ثورة في نفس الفرد العربي اولا واذا لم تتحقق هذه الثورة في نفس الفرد لن تتحقق في وسط المجتمع . وهذه العلاقة الوثيقة بيــن النضال والعقيدة هي التي ستجعل الاسلوب جزءا من الغاية لا ينفــصل عنهــا فاذا انحرف الاسلوب لا بد وان تنحرف هذه الغاية ..) وهذه العلاقــة الوثيقة بين العقيدة والنضال والاداة النضالية هي التي ستجعل العقيدة حياة يومية تتحقق وتتبلور من خلال التجربة العملية اليومية للافراد الى ان تتحقق وتصبح حياة الجماعة (١٥٧)

ان هؤلاء الذين يقولون كل ذلك ، يلخصون فهمهم لهذه التجربة بمــا يلي ــ « ولكن الاستعمار من جهة واسرائيل من جهة ثانية والفئــــات الحاكمة من جهة ثالثة سيقاومون هذا الاتجاه مقاومة عنيفة حادة ، ولذلك لا بد من التخلص منهم قبل الاتجاه نحو اي نضال اقتصادي او اجتماعي ، أي لا بد من التخلص من المشكلة السياسية لنتجه نحو المشكلةالاقتصادية (١٦٥) .

وهنا يعود هؤلاء الى حلقتهم المفرغة ، ويحملون مطرقتهم الكبيرة ليضربوا في الهواء ، لا في الصخرة .

انهم سيرفعون المطرقة في وجه شيخ يسمونه الاستعمار تاركين عــلى الارض الاستعمار بكل وحشيته وحرابه وقواعده ونواطيره ..

وما ذلك الا لانهم لا يعرفون كيف يواجهون قضية الشعب ، قضيــة حريته وحياته. فالسياسة التي يريدونمنها ان تحركالجماهيروكلماتالنضال والعقيدة والتحرر والثأر والمجتمع العربي الامثل .. اذا استطاعت انتجمع عددا من المثقفين والطيبين والموتورين .. لان فيها ما يرضي النفس السليمة الخاملة والنفس المريضة الناقمة من دعوة التخلص من غبار العبودية ونداء للانتقام للكبرياء الطعين .. انها اذا استطاعت أن تفعل كل ذلك فانهــا لا تستطيع بأية حال من الاحوال ان تحرك الجماهير... وان تضع الامة أمام الرجعية والاستعمار ..

ولقد أثبت التــاريخ ذلــك ..

وهي ايضا ــ كما يقول صدقي اسماعيل (لو استطاعت ان تثير الطبقة الواعية في البلاد وتبعث في نفوسها حب النضال وتحسن تنظيمهــا واعدادها والاستفادة من قلقها على مصير امتها وثقافة شعبها وتاريخها باعتبارها طليعة نيرة فان ميادين الكفاح السياسي عاجزة كل العجز عــن أن تنظم الشعب نفسه تنظيما سياسيا من هذا النوع) .

أقول عاجزة كل العجز عن أن تكون انقلابا جذريا شاملا وأن تكــون ثورة لانها تتجاهل الرابطة الثورية بين العقيدة والشعب ، وبين العقيدة والنضال والاداة ، وتحاول ان تجعل الشعارات المرحلية منطلقا واساسا بدل ان تكون الشعارات المرحلية تعبيرا عن موقف تواجهه الثورة وهكذا تصبح الوسيلة غير الغاية بل ومناقضة لها (٧) .

وهكذا تكون العقائدية الخيط السحري الذي يجمــع ما لا يمكن أن يجمع .. والاطار الواهي الذي يريدون منه كل شيء وهم لم يضعــوا فيه شيئا .. فهم اشتراكيون ولكنهم لا يدعون للاشتراكية لا لشــيء الا لان هنالك فئات وقوى تعارض هذا الاتجاه وترفضه ، هذه الفئــات والقوى التي ترفض التحرر ..

ولكن لماذا لا يتنازلون عن الدعوة للتحرر ؟

انه لسؤال سخيف .. وسخيف جدا ولكنه ضروري .

فما معنى العقائدية العلمية الشعبية والايجابية ..؟ وما معــنى ان نقول (لا يمكن ان نحقق هذا الهدف (اي الانقلاب الثوري) الا بالنضال الثوري والروحية الثورية والمفاهيم الثورية . النضال الثوري العقائدي العلمي الايجابي الاصيل الذي يدفع الفرد العربي لان يقف من مشاكل وجوده القائمة موقفا مشبعا بالحركة والشعور بالمسؤولية والروحيــة الايجابية العلمية الهادفة (٨). ما معنى ان نقول هذا اذن اذا دعونا للتنازل عن الدعوة الاشتراكية ..؟ وما معنى هذا اذا جعلنا همنا الوحيد ..اقناع الجماهير بعدم جدوى الدعوة للاشتراكية في هذه المرحلة ؟

أليس هذا تجاهلا لمعنى الثورة ..؟ أليس تجاهلا للتصور الكلي والثوري لقضية الشعب ، قضية حريته وحياته ؟

---

٧) محمد علي القابسي ــ صفحة من نضال العرب الحديث صفحة(٢٧)

٨) مع القومية العربية صفحة (١٥٦)

الطبعة الثانية من

قصائد من نزار قباني

الديوان الشعري الذي احدث

اكبر ضجة في الموسم الماضي

اطلبه من

(دار الاداب)

ص.ب ٤١٢٣ - بيروت

اننا عندما لا نعطي النضال هذه الصفة نكون قد ابتعدنا بـه عـن العقـائديـــة .

ب) الثورة .. والمراحـل

فالثورة شيء واحد ، عمل متكامل متفاعل ويجب ان تحمل كل خطـوة منها ملامح الخطوة التالية وتفصح كل كلمة من كلماتها وكل شـــعار مـن شعاراتها عن اعمق ما فيها .

قال ميشيل عفـلق :

« ولعل اهم فائدة للنظرة الشاملة انها تعي مراحل النضال فتكـون هكذا قيمة كل مرحلة غير قائمة بذاتها بل بنسبة موضعها من طريـق النضال الكاملة وبالنسبة للمراحل التي تليها وتعطيها معناها الحقيقي (٩).

هذا على الرغم من البعد الزماني والمكاني الذي قد يفصل كل خطـوة عـن الاخـرى .

واذا جاز لنا من قبيل التحليل ان نقول : الثورة القومية ، والثـورة الديموقراطية كما فعل ماو تسي تونج في كتابه « الثورة الصينية » ، فلا يجوز لنا ان نفهم من ذلك ان كلا منهما ثورة قائمة بذاتها ، وان العمـل للاولى يعني بالضرورة اهمالنا للثانية وتجاهلها .

ان الثورة لا يمكن ان تخضع لمثل هذا التقسيم من الناحية العقائدية فاذا خضعت كان الزيف وانهار البنيان العقائدي .

قال ماو تسي تونج : « لما كانت المهمـة الحاضرة للثورة الوطنيـة (القومية) في الصين بصورة رئيسية النضال ضد اجتياح الاستعمـار الياباني وكان من الواجب ان نسير بالثورة الديموقراطية سيرا ناجحا في سبيل كسب الحرب من جهة اخرى فان هاتين المهمتين مترابطتان .. ان التصور الذي تكون بحسبه الثورة الوطنية الديموقراطية مرحلتـين متميزتين هو تصور خاطىء » (٣٣) (١٠)

وقال جمال عبد الناصر في كتابه فلسفة الثورة : « ويوم سرنا في طريق الثورة السياسية فخلعنا فاروق عن عرشه سرنا خطوة مماثلة فـي طريق الثورة الاجتماعية فقررنا تحديد الملكية » .

ثم قال : « وما زلت اعتقد انه ينبغي أن تظل ثورة ٢٣ يوليو محتفظة بقدرتها على الحركة السريعة والمبادأة لكي تستطيع ان تحقق معجزة السير في ثورتين في وقت واحد معا .. مهما بدا في بعض الاحيان من التناقض في تصرفاتنـا » . (٢٨)

٩) افتتاحية جريدة البعث (نحو وعي عربي انقلابي)

١٠) الثورة الصينية

صدر حديثا عن دار الآداب

قناديل اشبيليه

مجموعة قصص رائعة للقصاص السـوري المعـروف

الدكـتور عبد السلام العجيلي

قصص انسانية عميقة ذات جو سـحري عجيـب

ثمن النسخة ١٥٠ قرشا لبنانيـا او ما يعـادلهـا

تطلب من دار الآداب ـ بيروت ص. ب. ٤١٢٣

وقال نهرو : « وقد ادى نمو الحركة الوطنية بزعامة المؤتمر الى انضمام جماهير الفلاحين ونظرهم اليه كمنقذ لهم من اعبائهم الثقيلة وقد قـوى ذلك المؤتمر واضيفت اليه الصبغة الشعبية ، ومع ان زعامة المؤتمر ظلت في يد الطبقة الوسطى الا أن الضغط من الاسفل اشتد حتى أصبحت المشاكل الزراعية والاجتماعية تستأثر بقسم كبير من نشاط المؤتمر . وظهر ميل نحو الاشتراكية عندما اصدر المؤتمر المعقود في كراتشي عام ١٩٣١ قرارا هاما حول الحقوق الاساسية والبرامج الاقتصادية . وقد نادى هذا القرار بأن ينص الدستور على ضمانات الحقوق الديموقراطية الاساسية والحريات وحقوق الاقليات ودعا الى اعطاء الدولة حق السيطرة علـى الصناعات الاساسية وهكذا أصبح الكفاح من اجل الاستقلال يتعدى مجرد نيل الحرية السياسية الى نيل نظام اجتماعي اشتراكي وصار الموضـوع الاساسي القضاء على الظلم واستغلال الجماهير . اما الاستقلال فهـو وسيلة لذلـك » . (١١)

فما من مبرر اذن للتنازل عن الدعوة للاشتراكية ، وما من معنى للتنازل عن الدعوة للحرية ، كما انه ما من معنى لاعطاء الوحدة هذا الطابـع الضيق الخانـق ..

ج) التنازل عن الدعوة للاشتراكية :

فالتنازل عن الاشتراكية لان الفئات الرجعية والنفعية تقاومنا ، سطحية تبرر نفسها بالفكر وهذا مناف لعقائدية النضـال .

والتنازل عن الدعوة للاشتراكية خوفا من الصراع داخل جدران المجتمع وزواياه ، لا يعني الا اننا لا نريد ان نطور المجتمع من جهة واننا اعجز من ان نواجه الرجعية بما هو معنى عقيدتنا وكفاحنا والمظهر العملي لهما ، واننا لسنا من مستوى الثورة لاننا لا نفهم عناصرها.

كما ان التنازل عن الدعوة للاشتراكية ارضاء للاقطاعية والرأسمالية حتى ترفع علم الثورة ليس الا محاولة فاشلة لجمع الماء في الغربال .. وقد قال نهرو في حديثه عن انشقاق الكومنتانج « انه لمن الصعب جدا أن يجتمع فريقان لهما مصالح متعارضة في منظمة واحدة » (٣٥٨). أقول حتى ولو كان هنالك خطر مشترك .

والذين يدعون للتنازل عن الدعوة للاشتراكية لانها نظام اقتصادي بحت ما زال بعيد التحقيق وما زال الجو العربي غير مهيأ له .

والذين يدعون لذلك لاننا نخوض معركة اخرى هي معركـة الوحدة او التحرر ـ هؤلاء .. وهؤلاء يحتاجون الى انعام النظر في المعركة،معركتنا وبعناصرها وفي الاسس التي وضعوهـا لمواجهة المشكلة لانها ليسـت مـن مسـتواها ..

« فصياغة الاهداف الثورية والتي تشكل عنصرا اساسيا في عمليـة النهضة اذ بها يتحدد بالضبط التغيير الذي يتطلبه الانتقال من الوضـع المتأخر الى الوضـع السليم » (١٢) يتطلب الوعي الذي من مستوى المعركة والمعرفة التي تجعل الثورة ليس مجرد نية طيبة لفرض بعض الشعارات . وانما عملية انسانية تحقق بواسطتها الجماهير المعجزات .

ولذلك كان لا بد من العلمية والعملية والوضوح (فالجماهير التي لا تجد غير الثورة طريقا للتعبير عن انسانيتها .. لا تقبل الغموض ولا ترضـى باسلوب الافلاطونيين الذين لا يعرفون غير كلمات الوحدة والكرامـة والتحرر والعروبـة والنضـال »

١١) لمحات من تاريخ العالم (٢٨٣)

١٢) الواقعية والفكر العربي المعاصر ـ الاداب عدد ٣ سنة ١٩٥٧ بقلم سعدون حمادي

ولا بد من الاشتراكية لاعطاء الثورة الصفة العقائدية والعلمية .

والاشتراكية هنا كما يقول ميشيل عفلق هي دين الحياة .. وظفر الحياة على الموت .. وكما يقول منيف الرزاز « هي مذهب للحيـــاة ومذهب للفهم . فان تكون اشتراكيا لا يعني بالضرورة ان تعيش في ظل نظام اشتراكي وانما ان تكون اشتراكيا يعني بالضرورة ان تفهم الحيـــاة وان تعمل في الحياة وان تكافح في الحياة فهما وعملا وكفاحا واشتراكيا ».

بهذا المعنى تصبح الاشتراكية اذن كلمة لا تقتصر على التعبير عن حال اقتصادية معينة فحسب بل هي تعبير عن نوع من الحياة بأكمله بجميـع وجوهه .. والاشتراكية بهذا المعنى ليست وضعا اقتصاديا معينـــا وليست سعيا في سبيل وضع اقتصادي معين فحسب بل هي فهـــم اشتراكي لكل نواحي الحياة . وحين أقول انني اشتراكي فقد عينت موقفي لا من العلائق الاقتصادية التي اعيش خلالها فحسب ، بل لقد عينت موقفي من جميع نواحي الحياة التي تلامسني والامسها » .

« وسبب هذا ان الحياة نفسها شيء واحد » .

ثم يقول الرزاز : « واذا آمنا بالانسان ايمانا عميقا فلا بد ان نمنحه ما يستحق بالاشتراكية وان ناخذ منه ما يتمكن ان يمنح بالحرية ... كـل هذا في حدود تجربته التاريخية والقومية .

وعلى هذا «فالاشتراكية والوحدة والحرية ليست اسماء مختلفة لاشياء مختلفة ثم جمعها صدفة وبمجرد لمحة عابرة وانما هي أوجه مختلفة لشيء واحد اساسي تنبع منه جميعا وتنبثق انبثاقا .. واذا كانت الاشـتراكية تمثل ناحيته الاقتصادية في الاساس والحرية تمثل ناحيته السياسية في الاساس والوحدة تمثل ناحيته القومية في الاساس فهذه جميعا ليست الا نواحي مختلفة لشيء واحد وهذا الشيء الواحد الذي تنبع منه جميعا هو احترام قيمـة الانســان » . (١٣)

وهكذا تعطي للمعركة مميزات وسمات المنطلق ..

وهكذا يكون المنطلق مجالا ثوريا وأساسا فكريا من مستوى المعركة ، ومن مســـتوى الرســـالة .

وهكذا ايضا تتحدد علاقة الانسان بالمعركة .

وعلى هذا الاساس يكون الالتقاء القومي بمثابة اعطاء الثورة مجـــالا أوسع تتحقق من خلاله ، دون التنازل عن عقائديتها وثوريتها .. (ودراسة تطور ثورتي الصين والهند كفيل باثبات ذلك) .

وعلى هذا الاساس وعليه وحده تكون سياسة المراحل عملا ثوريا عقائديا.

وبدون ذلك ، أي بدون الاحساس الخلاق والتفاعل الاصيل بين الثورة والعقيدة والشعارات ، لن تكون ثورة ، ولن تكون عقيدة .

وبدون انبثاق الشعارات المرحلية انبثاقا اصيلا من الاستراتيجية لـن يكون هنالك نضـــال .

فالعقيدة التي تعني التصور الكلي والثوري لقضية الشعب ، قضيـــة حريته وحياتـــه ..

والشعارات التي تعني التطور العملي للثورة ، باجتياز مواقف نضالية ومواجهة قضايا ثورية من خلال هذا التصور .

هذه كلها تعني الثورة ، الثورة الخلاقة المنتجة .

الكـــويت — **ناجي علوش**

١٣) من محاضرة مطبوعة للدكتور الرزاز بعنوان (لماذا الاشتراكية الآن).

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص.ب ٤١٢٣ ـ تلفون ٣٢٨٣٢

*

الادارة

شارع سوريا ـ رأس الخندق الغميق ، بناية الاسمر

*

الاشتراكات

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

فـي الخـــارج : جنيهان استرلينيان

او ٥ دولارات

في اميركـــا : ١٠ دولارات

في الارجنتين : ١٥٠ ريالا

تدفع قيمة الاشتراك مقدما

حوالة مصرفية او بريدية

*

الاعلانات

يتفق بشأنها مع الادارة

*

توجه المراسلات الى

مجلة الآداب ، بيروت ص.ب. ٤١٢٣